ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 38 - العدد 1085 - الجمعة 30 شعبان 1425 هـ - الموافق 15 أكتوبر 2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

كيفية قراءة القرآن

بشرى لنا ياطلالة شهر رمضان

يستقبل العالم الإسلامي شهر رمضان، شهر الرحمة والغفران، الشهر الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وهو يعيش تفرقا في صفوفه، وتهديدا لعقيدته، ومحاربة كتابه وسنة رسوله بدون أدنى مبرر، فماذا علينا معشر المسلمين أن نعامل به هذه الهجمة الشرسة التي تستهدف قيمنا وعقيدتنا وتاريخنا الرحماني السلمي الحضاري..؟ العلاج في نظري المتواضع هو في نبذ الخلاف فيما بيننا، والعمل على اتحادنا على تقوى من الله ورضوان، وأن نقنع الآخرين بسلوكنا ومعاملاتنا وعلاقاتنا أننا أمة تنشر المحبة وتزرع السلام وتؤمن بالله وبرسوله وأنبيائه... لا تعتدي على أحد، ولا تنغص عليه عيشه، ولا تزهق أرواح البشرية العزيزة عند الله بغير حق... ولا تقف عند هذا الحد، بل نعمل قادة وشعوبا على التعريف بالإسلام الصحيح الذي يتضمن مصلحة الفرد والجماعة ويحث على نفع البلاد والعباد، ويمنع الظلم ويحرمه، ولا يرضى به لأي كان. كما علينا أن نجند دعاة السلم والرحمة والمحبة المؤهلين... - ونحن نتوفر عليهم ولله الحمد والمنة - ليلقنوا لكل من يجهل الإسلام منهاجه السلمي الصحيح، لأن كل ما يبث ويقال وينشر من طرف خصوم الإسلام عن هذا الدين من أنه دين إرهاب وتطرف، ودين تزمت لا يقبل الرأي الآخر هو مجرد افتراء وكذب على الإسلام، وبعيد عن الصحة وعار من أي دليل، ولا حجة لقائله عليه ولا برهان. لقد بيّت أعداء البشرية للإسلام ما يروج عنه من دعايات هدامة واستخدموا لتركيز مخططهم في النفوس جميع الوسائل التي تمكنهم من إقناع الجاهلين لحقيقة الإسلام على أنه دين إلغاء الطرف الآخر... وهذا المخطط الماكر جلب على الإسلام والمسلمين كثيرا من المتاعب المميتة، عانى منها المسلمون في جميع قارات العالم قادة ودولا وشعوبا.

فليعلم العالم برمته أن الإسلام دين رحمة وتواصل وتعايش وعدالة، ودين مشروعية واحترام للإنسان من حيث هو كبشر.

فالإسلام دين يمقت التجبر والكبرياء، ويحرم إلحاق الظلم بالغير لا في نفسه وماله وأهله وذويه، ولا في أرضه... فكل تعاليم الإسلام تسامح وتواضع وسلام... فكفى من الكذب على ديننا الرحماني، فنحن لا نتدخل للآخرين في معتقداتهم (لكم دينكم ولي دين) سورة الكافرون، الآية:6. نحب للإنسانية الأمن والاستقرار والتقدم، ولا نركن للظلم ولسنا ممن يتظاهر بالعدل والدفاع عن حقوق الإنسان ويخالف فعله قوله، فتلك درجة سخيفة من النفاق (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) سورة النساء، الآية:145. فالمسلم النقي في سلوكه، الطاهر في ظاهره وباطنه بصدق يحذر ويتوقى من النفاق ولا يقرب ساحته المليئة بالتلوث الأخلاقي الذي أضر بطبيعة الإنسانية وجعلها في حيرة من أمرها..

إن أمة ربها واحد، وقبلتها واحدة، وكتابها واحد، ونبيها واحد، وترى في التعليمات الربانية الموجهة إليها الأمر باتحادها وتضامنها، لا داعي لتفرقتها ومشاكسة البعض منها للبعض، فالنقط التي تجمعنا أكثر من الجزئيات التي يرى البعض أنها تبدي رأيا آخر، مع العلم أن كتابنا صالح لكل زمان ومكان، وليس الدين الإسلامي حجرة في طريق التقدم، بل يسعى لائتلاف الجميع وحوار الحضارات، فلا شعيرة من شعائر الإسلام إلا وتدعو إلى الأخلاق الحميدة، فالصوم في هذا الشهر المبارك ليس هو الإمساك عن الطعام والشراب فقط، بل هو ترك كل ما يؤذي الإنسان من القول والعمل، قال عليه الصلاة والسلام: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)، وهكذا بين عليه الصلاة والسلام ما يحمله الإسلام في دعوته الإصلاحية - التي ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا من يجهلها - من توجيه وإصلاح وتقويم لسلوك معتنقيه.

فالإسلام لا يدلس في توجهاته الواضحة، ولا يعمل على قلب الحقائق كمن يجهر بالدفاع عن حقوق الإنسان ويهاجم فصيلته البشرية، ويسلبها مالها ويحتل ديارها وبعد ذلك يتظاهر بإمدادها بالمواد الطبية والمواد الغذائية ليوهم الآخرين على أنه يرفق بالضعيف والمحتاج والمعوق... ولكن من تسبب لهؤلاء العجزة والمعتدى عليهم فيما لحقهم من جراء مباغتتهم بالاعتداء، ونهب أموالهم وانتهاك حرماتهم وإزهاق أرواحهم؟! فليحاسب نفسه وليراجع ما يفرضه عليه الواجب الأخلاقي والإنساني ولا يتبجح بما لا يفعل... ومن الغريب أنك ترى من يلاقي منه الكائن البشري كثيرا من الضغط والتدخل في شؤون الغير وفرض إرادته على من هو بعيد منه في المعتقد والسلوك وغير ذلك من مظاهر الحياة العامة، وبعد أن ينفذ مخططه العدواني تراه يلوك الإسلام باللسان اللاذع ولا يدع تهمة لا تليق بشرف الإسلام وقداسته إلا وحاول إلصاقها بديننا النقي، ويسخر لهذا الاتهام وسائل الإعلام المكتوبة والمنظورة والمسموعة...

إن الإنسانية محتاجة للاستقرار والسلم وروح التسامح وإفشاء المحبة ليعيش البشر تحت ظل العدل والمشروعية بعيدا عن ما يمس من كرامته...

لقد أطل على هذه الأمة الإسلامية شهر كبح جماح النفس وترويضها على إصلاحها وعلى الابتعاد عما يسيء إلى الآخرين بل هو شهر المواسات والبذل وإسعاد الضعيف، إذ كان الرسول صلى الله عليه وسلم أجود الناس على الإطلاق وكان أجود ما يكون في رمضان، فلننتبه إلى الظرف الذي جاءنا فيه شهر الخير والرحمة، وما علينا أن نقوم به من أداء صيامه بجميع أعمال الخير التي ترجع علينا وعلى الأمة الإسلامية وكافة البشرية بالنفع العميم.

قال صلى الله عليه وسلم: (من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه).

فاللهم أعنا على قيامه وصيامه، وعلى ملازمة ما يرضيك في لياليه وأيامه... وأقل عثرة الإسلام والمسلمين، واهد عبادك لما فيه رضاك... يا رب العالمين...

(ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) صدق الله العظيم.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

تهانينا إلى حضرة أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس بمناسبة شهر رمضان المعظم

يسعد رابطة علماء المغرب وأسرة تحرير صحيفتها "ميثاق الرابطة" ومجلة "الإحياء" بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك شهر الصيام، أن تتقدم بكل إجلال وإكبار بتهانيها إلى حضرة أمير المؤمنين راعي العلم والعلماء جلالة الملك محمد السادس أعزه الله ونصره داعية لجلالته بعوام النصر والتأييد، حتى يحقق لشعبه كل ما يطمح إليه من تقدم ومعاهدة وازدهار، تحت راية القرآن الكريم، وفي ظل العرش العلوي الشريف، سائلة الله سبحانه وتعالى أن يحفظه في ولي عهده الأمير الجليل مولاي الحسن، ويشد أزره بشقيقه صاحب السمو مولاي رشيد، وكافة أفراد الأسرة الملكية، والشعب المغربي والأمة الإسلامية جمعاء. إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير

من ثمرات ابتلاء يوسف عليه السلام

العمل في غسل يوم الجمعة

بيان حقيقة المصالح والمفاسد

ذكر ما يلزم التائب

تكرار قل هو الله أحد عند ختم القرآن

رمضان موسم الطاعات

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

الصدقة بالمال على الميت

■ إعداد الأستاذ: سيدي محمد بن عبد القادر

■ الحمد لله: سئل الشيخ العلامة سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي نفعنا الله بهما عما ستقف على جوابه ونص الجواب:

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم : الجواب والله الموفق سبحانه، لارب غيره، ان الصدقة بالمال على الميت والدعاء له مشروع، فينفعه ولاخلاف في ذلك بين الأيمة، وأدلة ذلك من الكتاب والسنة واضحة، وأما غير الصدقة والدعاء من الأعمال البدنية فهو محل خلاف يطول تفصيله، ومن مسائل الخلاف القراءة بنية هبة ثوابها للميت.

❖❖❖

ذهب مالك إلى انه لاينتفع بها، وفي قول الشافعي ينتفع وفرق أبو حنيفة بين ان يقرأ على قبره أولا، ونحا على هذا القول القرافي من المالكية، والذي جرى به عمل الناس، وافتى به الأيمة المتأخرون جواز القراءة وإهداء ثوابها، وأن النفع بذلك مرجو من فضل الله سبحانه عليه(...).

❖❖❖

وقال سيدي عبد الله العبدوسي مشهور المذهب أن ثواب القراءة حاصل كل ذلك واصل لهم تتأنس به أرواحهم وتسمع قراءتهم. قال: وأفضل ذلك وأتمه القراءة على القبر لما فيه من تمام الفائدة لجيران القبر من كل من سمعه كلهم يتأنسون بالقراءة وبسماعها ولم يشك أحد من الأيمة أن أرواح الموتى اجناد مجندة مختلفة الأماكن، فمنهم أرواح تأوي إلى جنة المأوى وأخرى في قناديل حول العرش كأنها المصابيح وأخرى في السماء السابعة وأخرى في السماء السادسة وأخرى في الخامسة كذلك إلى سماء الدنيا وأخرى في حواصل طير خضر في الهواء، وأخرى تجول حيث شاءت وجميع الأرواح ترى قبورها في كل وقت وترى من يزورها قال وجميع الموتى ينتفعون بزيارة الزائرين بحسب نياتهم ومقاصدهم ومشهور المذهب أن ثواب القراءة حاصل كما قدمنا سواء قرأ في القبر أو في البيت وبعث الثواب لهم من بلد إلى بلد، فإن الثواب حاصل والأجر ثابت.

❖❖❖

نعم ومثل القراءة ذكر الله تعالى والصلاة على نبيه (ﷺ) والنية في ذلك كالنية في القراءة، وقد سئل أبو عبد الله الجبار عن قراءة الانسان القرآن ويهديه للميت فأجاب: هذا على قسمين: احدهما أن يقرأ الانسان وينوي أن تكون القراءة عن الميت ويكون القارئ نائبا عن الميت في القراءة فهذا القسم: الصحيح أن الميت لاينتفع بالقراءة لأن القراءة عمل بدني والأعمال البدنية لاينوب فيها أحد عن أحد وكذلك القراءة.

والقسم الثاني: أن يقرأ لنفسه ويهب الثواب الذي يوتيه الله على القراءة للميت، فهذا القسم على هذا الوجه ينتفع به الميت فإذا قرأ الإنسان على هذا الوجه ووهب الثواب للميت وصل ذلك للميت وانتفع به إن شاء الله تعالى ..هـ.

❖❖❖

وقال الإمام الا اني رأيت لبعضهم أن القارئ للغير ان صرح أو نوى قبل قراءته أن ثواب قراءته للغير كان ثوابها للغير وإن كان إنما نوى الثواب بعد القراءة فإنه لاينتقل لأن الثواب حصل للقارئ والثواب إذا حصل لاينتقل وهذا المذهب هو الذي كان يختار الشيخ هـ وقال بعض الأيمة القول بعدم انتفاع الميت بالقراءة محمول على إذا نوى القارئ النيابة عنه، وأما النفع فينتفع الميت بأن يدعو له عقبها أو يسأل جعل أجرها أو يطلق على المختار عند النووي وغيره لنزول الرحمة على القارئ ثم ننتشر هـ...

❖❖❖

وقال ابن حجر لما سئل عن القراءة للميت هي مسألة مشهورة وحاصلها أن أكثر المتقدمين على عدم الوصول وأكثر المتأخرين من العلماء على الوصول والمختار الوقف عن الجزم في المسألة مع استحباب عمله والاكثار منه هـ.

والكلام في المسألة كثير والحاصل أن الانسان ينبغي له أن يعي فيما يرجى نفعه لوالديه واحبائه من صدقة ودعاء وزيارة لهم ووقوف على قبورهم والتسليم عليهم فإنهم يتأنسون بذلك ويذكر الله تعالى ويصلي على نبيه (ﷺ) ويقرأ عند قبورهم وغائبا عنهم وينوي اهداء الثواب لهم أو يدعو بأثر ذلك لهم ويقول مثلا عند القراءة أو الذكر: اللهم تفضل علي بالقبول وتفضل علي بثواب وبلغه بمحض فضلك لوالدي أو نحو هذا، ولايحصر مايريد نفعه بهم في الصدقة فقط فإنها قد لاتتيسر في بعض الأوقات والميت كالغريق ينتظر مايصل إليه مما يكون له فرج وفضل الله يطلب بكل ممكن. فيجتهد الانسان في نفع أحبابه بكل مايمكنه مما يوافق قول جميع الأيمة أو بعضهم ولايخرج عن أقوال العلماء المقتدى بهم

وانشد الإمام أبو الفرج ابن الجوزي واحسن

زر والديك وقف على قبريها
فكأني بك قد نقلت إليهما
واقرأ من آيات الكتاب بقدرما
تسطيعه وابعث بذاك اليهما

والله تعالى الموفق بفضله وكتب عبيد الله محمد بن عبد القادر غفر الله له.

مفعلة للمكان الذي يكثر فيه الشيء

■ إعداد الأستاذ: احمد باكو

■ الاشتقاق من الأبواب الكبيرة في علم الصرف. وله تقسيمات وفروع كثيرة، منها الاشتقاق من الأسماء الجامدة الذي منه اشتقاق وزن مفعلة (بفتح فسكون) من أسماء الذوات للمكان الذي تكثر فيه.

ولعلماء الصرف كلام كثير، فيما يرجع لكونه قياسيا أو سماعيا وغير ذلك وكان الموضوع مما تناولته بالدرس المجامع اللغوية ومنها مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي أصدر في شأنه (فتوى لغوية) قرر فيها أنه:

"تصاغ (مفعلة) قياسا من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول، للمكان الذي تكثر فيه هذه الأعيان سواء كانت من الحيوان أم من النبات أم من الجماد" (2).

ومن أمثلة أسماء الذوات الثلاثية المجردة، أرض مأسدة اي كثيرة الأسود ومن أمثلة الثلاثية المزيدة أرض مفعاة اي كثيرة الأفاعي.

وهذا الاستعمال كثير جم في لغة العرب، يرد في الحيوان والنبات والجماد ومن أمثلته الحيوان أرض مقردة ومضبعة ومحياة ومعقرة اي كثيرة القرود والضباع والحيات والعقارب.

ومن أمثلة النبات أرض مقمحة ومرمنة ومبقلة اي كثيرة القمح والرمان والبقول. ومن أمثلة الجماد: أرض محجرة ومرملة ومحصاة ومترية ومتبرة اي كثيرة الحجر والرمل والحصى والتراب والتبر وهو الذهب.

وفي كتب علم الصرف كلام متشعب وتفاعيل دقيقة وآراء متعددة حول هذه الصيغة وطرق استعمالها وشروطها لايتسع المقام لتتبعها، بل لا فائدة منها في هذا المجال لأن المقصود بالذات هو التذكير بهذه الصيغة المهملة والتنبيه إلى فوائدها اللغوية العلمية ولذلك نوجز الكلام لنسا رع إلى بيان أن لدينا مقامات كثيرة تستدعي أن نشتق من بعض الأعيان من حيوان ونبات وجماد، صيغا ندل بها على وجودها بكثرة في أماكن معينة.

فعالمنا اليوم كله مقسم أو مصنف إلى مناطق يشتهر بعضها بأنواع من الحيوانات أو الزروع أو المعادن حتى من البشر. ومن الدقة اللغوية أن نشتق لها من جنس ما اشتهرت به مفاعل تدل على تميزها باحتوائها على ذلك بكثرة.

وأقرب مثال لهذا البترول أو النفط الذي يستدعي أن ننعت المناطق المشتهرة به بأنها أراض منفطة وكذا الفوسفاط الذي يمكن أن نشتق من حروفه مفعلة لنقول عن الأماكن المشتهرة بوفرته فيها ومنها بلادنا، أرض مفسطة وهناك دول مشتهرة بانتاج البترول أو الذهب والنحاس وغيرها وعنها يمكن أن نصوغ عبارة متبرة أو مذهبة ومنحسة وهكذا.

والعادة أن تكون البلدة الواحدة متنوعة من حيث الانتاج الزراعي والمعدني والحيواني ويكون من الدقة العلمية ونحن نتحدث عن جغرافيتها النباتية والفلاحية أن نصف منطقة منها بأنها مقمحة اي تنتج القمح بكثرة أو مرمنة اي يكثر فيها الرمان أو معنبة من العنب وهكذا، ويمكن أيضا أن نقول عن أرض يكثر فيها العشب إنها معشبة.

بل إن الاستعمال هنا، يمكن أن يطرد إلى البشر حين تشتهر دولة أو مدينة بوجود نوع من الناس مثل الطلبة والعمال فهناك مدن تشتهر بكثرة معاهدها العلمية واحتواء ساكنتها على نسبة كبيرة من الطلبة، بحيث يصح أن نصفها بأنها مدينة مطلبة.

وهناك مدن أخرى تشتهر بالصناعة وكثرة المعامل واحتواء ساكنتها على عدد كبير من العمال، بحيث يحق أن نقول لنعتها بهذا أنها مدينة معملة إن صيغة مفعلة تفيد كثيرا في اللغة الفنية الصحافية والعلمية وغيرها، لوجود مناسبات كثيرة تستدعي اشتقاقها لتصنيف مدن أو مناطق أو دول تتميز بالوفرة في أنواع معينة من الحيوانات أو النبات أو المعادن أو البشر.

أفعل بمعنى دخل في الشيء

تدخل الهمزة على الفعل الثلاثي، فتلحق به عدة معان جديدة منها الدخول في الشيء زمانا أو مكانا.(3)

وهناك ماهو مستعمل مشهور من هذا من قديم، فأصبح واضحى وأمسى بالنسبة للزمان وأبحر بالنسبة للمكان كلها بمعنى دخل في الصباح والضحى والمساء والبحر.

ولكن هناك أفعالا أخرى من هذا غير مستعملة، لاسيما بالنسبة للمكان، الذي لم يشتهر منه إلا أبحر بمعنى دخل في البحر أو سار فيه.

فهناك بالنسبة للزمان أفجر وأسحر وأصل وأظلم بمعنى دخل في البحر والسحر والأصيل والظلام، وكذا أشهر بمعنى دخل في الشهر التي تفيد كذلك انه أمضى وهناك بالنسبة للمكان أبر وأصحر بمعنى دخل أو سار في البر والصحراء، ومن هذا القبيل أفعال مشتقة من أسماء الأماكن من مدن وغيرها. ومنه قولهم أنجد وأتهم إذا دخل نجدا وتهامة ومنه كذلك أشأم واعرق إذا دخل أو سافر إلى العراق والشام.

وكما هو واضح فإننا لانكاد نستعمل من هذه الأفعال إلا الامثلة التي صدرنا بها الواردة في الصباح والضحى والمساء والبحر.

وكما هو واضح أيضا فإن هذا الوزن ينطوي على فوائد عملية عظيمة من شأنها أن تغني اللغة اليومية المستعملة في الصحافة وغيرها مما تستدعي الإيجاز في العبارة والمعنى الذي عبروا عنه بالدخول في المكان يعني كذلك السفر إليه ولذا يناسب جدا استعمال الفعل في هذا النشاط البشري المهم، باشتقاق فعل رباعي من المكان المسافر إليه، للتعبير عن الانتقال بفعل يغني عن الجملة. فنقول: أغرب، من المغرب لأوامصر من مصر وأمرك من أمريكا وأروس من روسيا.

ومن المعلوم أن الارتحال والتنقل نشاط عام كثيف يجري كل لحظة ولاينقطع مده وبكثرته يكثر الاخبار عنه في الصحف والإذاعات والمحاورات المسموعة والمقروءة.

ولذا فإن استغلال هذا الاستعمال من شأنه أن يضع أمام الألسنة والأقلام، فرصا للايجاز ثمينة تمكننا من التعبير عن عمل مركب بعبارة بسيطة فيقال مثلا أمصر بدلا من مسافر إلى مصره وأمرك بدلا من مسافر إلى أمريكا وهكذا.

يزعم البعض أن العربية مفتقرة إلى (اللغة البرقية) يعنون بذلك العبارات القليلة الحاملة للمعنى الكثير التي تتطلبها الحال في مختلف المرافق كالصحافة والمكاتبات الادارية.

وأنت ترى فيما قلناه عن مادة أفعل أن هذا النعي يرتد على قائليه ليكشف أن النقص منهم لا من لغتهم، وأن الواضع العربي، اهتم بالايجاز من قديم وتوخاه وجعله عمدة في اللغة وعنوان البلاغة فيها ألسنا نقرأ كلام العرب من تقديم (خير الكلام ماقل ودل) و(البلاغة الايجاز)، وغير ذلك من الكلام الذي ينطق بالحث على ابتغاء الإيجاز واستعماله؟!

(2) تصريف الأسماء محمد الطنطاوي ط الخامسة 1375هـ 1955م ص129

(3) شذ العرف في فنه الصرف الشيخ احمد الحملاوي ص.41.

الوثاق

تكرار قل هو الله أحد عند ختم القرآن

للعلامة أبو العلا سيدي ادريس بن محمد بن أحمد الحسني

تقييد سؤال لسيدنا أبو العلا سيدي ادريس كان الله له آمين

الحمد لله سيدي رضي الله عنكم وأرضاكم ومتع المسلمين بطول حياتكم.
جوابكم الكريم في قوله تعالى: قل هو الله أحد إلى آخره، ما فائدة التكرار فيه عند حتم القرآن العظيم؟ وإذا شرع في التكرار هل يكون قبل البسملة أو بعدها؟ وأيضا أن يكون تمام السلكة بل الختم هل عند قوله تعالى من الجنة والناس؟ أو قوله تعالى المفلحون؟
بين لنا سيدي بيانا شافيا، ولكم الأجر والسلام على مقامكم الأعلى الرفيع.
فأجاب بما نصه.

■ الأستاذ: إدريس كرم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم ألهمنا الصواب، ولا تغلق دوننا الباب.

❖❖❖❖

■ اعلم وفقنا الله وإياك، أن فائدة تكرار سورة الإخلاص لما ورد عن النبي(ﷺ) ما معناه، إن من قرأ الإخلاص ثلاث مرات فله ثواب ختمة كاملة، على بعض التأويلات، وفي حديث سورة الإخلاص تعادل ثلث القرآن، فأراد التكرار أن يحصل له ثواب ختمتين في تمام واحدة وليس هي رواية، ولا يعتقد أنه رواية إلا جهول لم يشهد القراءات ولا الأصول، على أنه لم يقرأ به أحد، ولا نص عليه لا من القراء، ولا من الفقهاء، غير ما ورد عن الغزويني في كتابه حلية القرآن، عن الهدواني عن الأعشى، إعادتها ثلاثا، وقد صار العمل على هذا في أكثر البلاد عند الختم، والمأثور دفعة واحدة وهو الصواب الذي عليه السلف، ليلا يعتقد إن ذلك سنة، ولهذا نص أيمة المالكية والحنابلة أن سورة الصمد لا تكرر، وقالوا، وعن الإمام أحمد لا يجوز.

❖❖❖❖

وأما هل يوتي بالبسملة مع التكرار أم لا؟ الظاهر أنه لابد من البسملة مع كل عودة على كل حال، لأنه يصير كالمفتتح، على أنه لا نص فيها غير ما عند الجعبري على بعض التأويلات ونصه:

❖❖❖❖

واندرج في السورتين المرتبتين ولو عكسا، لكن خرج عنه وصل طرفيها، والحكم عام، قال الحافظ بن الجزري، لا نص فيها، والظاهر البسملة قطعا، فإن السورة وايحالة هذه مبتدأة، ومقتضى ما ذكره الجعبري عموم الحكم، وفيه نظر، إلا أن يريد في مذهب الفقهاء عند من يعدها آية، ثم قال وكذلك لا يجوز إجراء أحوال الوصل في آخر السورة الموصل طرفها من إعراب وتنوين والله تعالى اعلم.

❖❖❖❖

❖❖❖❖

ومثله عند المحقق النويري، وقال الاستاذ الصغير غيرها وإنما ثبتت للتيمن والتبرك، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة والثوري ومن وافقه ،ذلك مع إجماعهم على أنها بعض آية من سورة النمل والله اعلم.

❖❖❖❖

واما أن يكون تمام الختمة فانقضاؤها وتمامها آخر سورة الناس لاشك في هذا، ولا يتمارى فيه من له أدنى عقل.

❖❖❖❖

وأما الإتيان بالفاتحة والخمس من البقرة وهو المفلحون على العد الكوفي فذاك يسموه الحال المرتحل، وهو الذي حل، إذا قام بالوضع وارتحل من فوره إلى غيره وأصله ما ورد على الشارع(ﷺ) من أنه سئل أي الأعمال أفضل أو أحب إلى الله تعالى، قال الحال المرتحل، قيل وما الحال المرتحل يا رسول الله؟ قال فتح القرآن وختمه، صاحب القرآن مصرف من أوله إلى آخره كلما حل ارتحل رواه الترمذي والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان، وقطع بصحته أبو محمد مكي.

❖❖❖❖

ووجه الإتيان بالفاتحة والخمس المذكورة التحقيق في الدخول في الختمة، ووجه الوقف على المفلحون حسن الوقف على صفة المومنين والله تعالى أعلم انتهى.

❖❖❖❖

وسئل أيضا بما نصه:

الحمد لله: سيدي سيد الورى ومصباح ما احلو لك من الأرى، جوابكم الكافي ونصكم الشافي في قول تعالى إلى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض على قراءة الجماعة السبعة عدا نافع، وابن عامر، هل يجوز لمريد التلاوة أن يقف على الحميد اختبارا أو انتظارا أو اضطرارا أو اختيارا، أو يمنع أو يكره؟ وإذا قلتم بالوقف هل الابتداء باسم الجلالة مرفوعا أو مجرورا، وهل يفخم كما يفخم في الرفع أيضا من تلاوة القرآن من أول إلى الحميد، ثم وقف ومكث يومين أو ثلاثة ثم يعود، وابتدأ من اسم الجلالة على قراءة من ذكر هل يجوز له ذلك أم لا؟ وأيضا هل يجوز الوقف على كل القرآن كل كلمة على حدتها ووصله من أوله إلى آخره لكل القراء والموضع المختلف فيه هكذا فيه تفعيل جوابا شافيا على كل فعل ماجورين والسلام.

❖❖❖❖

فأجاب بما نصه:

■ الحمد لله: يجوز الوقف بالأربعة المذكورة على الحميد بكسر الهاء من اسم الجلالة، ويبتدئ بالإسم الشريف مفخما مكسور الهاء لسائر من يكسر عدا يعقوب في رواية رويس، فإنه يضم ابتداء، ويكسر وصلا، وسواء وقف القاري واستأنف من حينه أو بعد ساعة أو أيام، ولا يجوز خلاف ما ذكرنا، وأن لا يكون في الرواية فساد، قال الحافظ بن الجزري، واختلفوا في الله الذي، فقرأ المدنيان وابن عامر برفع الهاء في الحالين، وافقهم رويس في الابتداء خاصة، وقرأ الباقون بالخفض في الحالين انتهى.

❖❖❖❖

ومراده بالحالين الوصل والابتداء، قال ابن القاضي معنى الوقف بالاختيار في باب رسمهم لكل قاري إلا في الاختبار أو الاضطرار، أو علم قاري به أو انتظار، انتهى وليس هذا المحل من باب الوقف بالرسم الذي يمنع فيه واحد من الأربعة وهو الاختياري، فبان منه جواز الوقف بالأربعة، قال المحقق الجعبري والوقف على كل كلمة جائز، ووصل القرآن كله جائز، وقال وليس في القرآن وقف واجب ولا محرم لأن الوقف والوصل لا يدلان على معنى تختل بذهابها، وإنما ذلك وظيفة الإعراب ومتعلقه، والصيغ واللغة خلافا لمن ادعى ذلك انتهى.

❖❖❖❖

قال ابو الحسن بن أبي الربيع في شرح الإيضاح، خمسة أشياء بمنزلة شيء واحد، الصلة والموصول والفعل والفاعل والصفة والموصوف، والمضاف والمضاف إليه، والجار والمجرور انتهى.

❖❖❖❖

قال الحافظ ابن الجزري وليس في القرآن من وقف وجب ولا حرام غير ماله سبب، وقال قولهم: لا يجوز الوقف على المضاف والمضاف إليه، إنما يريدون به الجواز الأدائي وهو الذي يحسن في القراءة، ويروى في التلاوة، ولا يريدون بذلك أنه حرام ولا مكروه، اللهم إلا أن يقصد بذلك تحريف القرآن، وخلاف المعنى الذي أراد الله، فإنه يكفر فضلا على أن يأثم انتهى.

❖❖❖❖

قال القاضي أبو يوسف صاحب أبي حنيفة، تسميتهم الموقوف عليه بالتام والناقص والحسن والقبيح بدعة، ومعتمد الوقف عليه مبتدع، لأن القرآن معجز، وهو كالقطعة الواحدة، فكله قرآن، وبعضه قرآن، وكله تام حسن، وبعضه تام حسن انتهى.

❖❖❖❖

قال العلامة جلال الدين السيوطي في الإتقان، وليتحفظ الوقف على نحو، وما من له، وإني كفرت، ولا مخذور في ذلك الايهام لا يعتقده مسلم، ولذلك قال ابن الانباري لا يأثم انتهى.

❖❖❖❖

وليس في المسألة ما يتحرز منه، فبان ولله الحمد من نصه من الاعلام جواز الوقف، فالزم الصواب، واحفظ المنصوص عن أولي الألباب، واجتنب أهل الدعوة ومن لا تحقيق معه من أصحاب البدعة ليلا تفسد عليك روايتك وتختل درايتك، ونسأل الله التوفيق والإرشاد للتحقيق قال ذلك عبيد ربه العلي ادريس بن محمد الشريف الحسني انتهى.

الحديث الحادي عشر والمائة: شهر شعبان: فضائل وأحكام

في ظلال الحديث:

نص الحديث:

قال أسامة بن زيد قلت: يارسول الله لم أرك تصوم شهرا من الشهور ماتصوم من شعبان قال "ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم" رواه النسائي.

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

الحلقة الأخيرة

في الحلقة السابقة، حاولنا أن نبين أهمية وفضل هذا الشهر الكريم، الذي يغفل عنه كثير من الناس، لانشغالهم عنه بأمور تفتنهم عنه، ثم أشرنا إلي عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، حيث كان يجهد فيه أكثر من غيره ويتقرب إلى ربه بالنوافل، فيصوم حتى يقال انه لايفطر، ويقوم الليل حتى تتفطر قدماه، وفي ذلك حكم وأسرار حاولنا استعراض بعضها...

واليوم موعدنا بحول الله وقوته مع بعض فوائد العمل في الوقت المغفول عنه، كشهر شعبان بصريح الحديث الذي نحن بصدده، نسأل الله أن ينفعنا بها والقراء الكرام...

4. فوائد إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعات:

اعلم أخي الكريم /أختي الكريمة، أن إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعة فيه والتقرب إلى الله بما يرضيه من الأعمال الصالحة فوائد جليلة ومنافع عظيمة نذكر بعضها:

أ. إن الطاعة والعمل في الوقت المغفول عنه يكون أخفى، وإخفاء النوافل وإسرارها أفضل لاسيما الصيام، فإنه سر بين العبد وربه، ولهذا قيل: إنه ليس فيه رياء، وقد صام بعض السلف أربعين سنة لايعلم به أحد، كان يخرج من بيته إلى سوقه ومعه رغيفان، فيتصدق بهما ويصوم، فيظن أهله أنه أكلهما في سوقه، ويظن أهل سوقه أنه أكلهما في بيته.

ب. الفائدة الثانية في إحياء وقت غفلة الناس بالطاعات: أنه أشق على النفوس. وأفضل الأعمال أشقها على النفوس إن كان على السنة النبوية المطهرة، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "الأجر على قدر النصب".

والسبب في أن الطاعات في وقت غفلة الناس شاقة وشديدة على النفوس، هو أن النفوس تتأسى وتتأثر بما تشاهده من أحوال أبناء الجنس، فإذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم، كثر أهل الطاعة لكثرة المقتدين بهم، فسهلت الطاعات، وتأمل كيف أن كثيرا من الناس يشق عليهم الصيام والقيام في غير رمضان: فإذا جاء رمضان سهل عليهم الصيام والقيام، ولم يجدوا مشقة في صيامه، وذلك لأن الناس من حولهم يؤدون هذه العبادة الجليلة، والناس كأسراب القطا يتبع بعضهم بعضا، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:"الناس أشبه بأهل زمانهم منهم بآبائهم".

وأما إذا عمت أو كثرت غفلة الناس تأسى بهم عموم الناس فيشق على نفوس المتيقظين والطالبين لمهر الجنة تشق عليهم طاعاتهم، لقلة من يقتدون بهم في هذه الأوقات المغفول عنها، ولهذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم في حال الغرباء في آخر الزمان كما هو ثابت في كتب السنة المعتبرة: "للعامل منهم أجر خمسين منكم. أي من الصحابة.. ولما تساءل الصحابة رضوان الله عليهم عن سبب هذا الفضل الجزيل والأجر العظيم، قال لهم الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليهم : "إنكم تجدون على الخير أعوانا ولايجدون"، ولقد جاء في صحيح مسلم أيضا ممن حديث معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "العبادة في الهرج كالهجرة إلي" (راجع الحديث 65 من هذه السلسلة) وعند الإمام أحمد بلفظ: "العبادة في الفتنة كالهجرة إلي" وسبب ذلك أن الناس في وقت الفتن تستولي عليهم الغفلة، وتستحوذ على أذهانهم وتأكل أوقاتهم، ويتبعون أهواءهم ولايرجعون إلى دين إلا من رحم الله، وينشغلون عن عبادة ربهم بهذه المحدثات والمضلات من الفتن، ويكون حالهم شبيها بحال الجاهلية، فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه ويتبع رضاه ويجتنب سخطه كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنا به، متبعا لأوامره مجتنبا لنواهيه، محافظا على سنته وهديه وطريقته صلى الله عليه وسلم، في كل زمان ومكان، والفوائد في هذا الباب والمعاني كثيرة لمن تأملها ووقف معها واستزاد منها.

ولما كان شعبان كالمقدمة لرمضان شرع فيه مايشرع في رمضان من الصيام وقراءة القرآن، ليحصل التأهب لتلقي رمضان وتتروض النفوس بذلك وتستقيم على طاعة الرحمن، ولهذه المعاني المتقدمة وغيرها كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الصيام في هذا الشهر المبارك، ويغتنم وقت غفلة الناس وهو من هو؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو الذي غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر، ولذلك فإن السلف كانوا يجدون في شعبان، ويتهيأون فيه لرمضان قال سلمة ابن كهيل: كان يقال شهر شعبان شهر القراء. وكان عمرو بن قيس إذا دخل شهر شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن، قال أبو بكر البلخي: شهر رجب شهر الزرع، وشهر شعبان شهر سقي الزرع، وشهر رمضان شهر حصاد الزرع، وقال أيضا: مثل شهر رجب كالريح، ومثل شعبان مثل الغيم، ومثل رمضان مثل المطر، ومن لم يزرع ويغرس في رجب، ولم يسق في شعبان فكيف يريد أن يحصد في رمضان، وها قد مضى رجب فما أنت فاعل. أخي الكريم، أختي الكريمة. في شعبان إن كنت تريد رمضان وتبتغي رضوان الرحمن، هذا حال نبيك وحال سلف الأمة في هذا الشهر المبارك، فما هو موقعك من هذه الأعمال والدرجات: وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يطلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن" (رواه الطبراني وابن حبان وهو حديث صحيح).

ولنا مع هذا الحديث الذي يتعلق بالنصف من شعبان أربع وقفات مهمة:

الأولى: أن الله يغفر فيها لكل عباده إلا المشرك، فتفقد نفسك ياعبد الله، وفتش باطنها، فلعلك أن تكون مبتلى بشيء من هذه الشركيات المضلة، والأفكار الفاسدة المفسدة، وقبائح الأخلاق المنتشرة في الأمة، ولاتظنن بنفسك خيرا بل فاتهمها في جانب الله وفي تقصيرها، ولاتقل إني بريء، ولايمكن أن أقع في مثل هذا، ويكفي أنني أعيش في بلد الإسلام، فإن هذا غرور وجهل منك، إذا كان أبو الأنبياء وإمام الحنفاء خليل الرحمن يخشى على نفسه الشرك، بل يخشى على نفسه وعلى بنيه عبادة الأصنام، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام" وقد بين ابراهيم مايوجب الخوف من ذلك فقال: "رب إنهن أضللن كثيرا من الناس".

قال إبراهيم التيمي: من يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ فلا يأمن الوقوع في الشرك إلا من هو جاهل به، وبما يخلصه منه، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه؟ فقال: الرياء"، ولقد أوصى الله عز وجل إلى الأنبياء الأتقياء الأصفياء بأن أعمالهم تحبط إن أشركوا، وهم الصفوة من الخلق فقال تعالى: "ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين"ثم يقول له: (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين".

الوقفة الثانية: خطورة الشحناء والبغضاء بين الناس، وأن الله لايغفر للمتشاحنين، والشحناء هي: حقد المسلم على أخيه المسلم بغضا له لهوى في نفسه، لا لغرض شرعي ومندوحة دينية، فهذه تمنع المغفرة في أكثر أوقات المغفرة والرحمة، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: "تتفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس، فيغفر لكل عبد لايشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: انظروا هذين حتى يصطلحا" وقد وصف الله المؤمنين عموما بأنهم يقولون: "ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين ءامنوا ربنا إنك رؤوف رحيم" قال بعض السلف: أفضل الأعمال سلامة الصدور وسخاوة النفوس والنصيحة للأمة وبهذه الخصال بلغ من بلغ، وسيد القوم من يصفح ويعفو، فأقل ياعبد الله حتى تقال.

الوقفة الثالثة: أن لايصوم الإنسان بعد منتصف شعبان بنية استقبال رمضان وحتى يحتاط لشهر رمضان بزعمه فإن هذا من التنطع والغلو في الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى رمضان" فهذا الحديث وما في معناه للمتنطعين والمتشددين الذين يستقبلون رمضان بالصيام بنية الاحتياط لرمضان، فهذا منهي عنه، ولايدخل في هذا أن يصوم الإنسان ما كان معتادا عليه من صيام الاثنين والخميس مثلا، أو ثلاثة أيام من كل شهر، أو القضاء، أو النذر، وماله تعلق بهذا أيضا، حرمة صيام يوم الشك قال عمار بن ياسر رضي الله عنه: من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم. ويوم الشك هو اليوم الذي يشك فيه هل هو من رمضان أو من شعبان وهو يوم الثلاثين، فيحرم صومه بنية الاحتياط قال: صلى الله عليه وسلم: "لاتقدموا رمضان بيوم أو يومين لا بنية الفرض، وأنه من رمضان أو بنية الاحتياط، فالنية هي الفيصل هنا، "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى".

وخلاصة القول أن المؤمن الفطن الذي يتحرى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمر كله، هو الذي يغتنم مثل هذه الأوقاف الفاضلة، والتي عبر عنه العلماء بالأوقات المغفول عنها، ليلا أو نهارا أو على مدى السنة كلها، فيا سعادة من عرف فلزم.

اللهم إننا نسألك رحمة تهدي بها قلوبنا، ومغفرة تصلح بها أحوالنا، ويقينا تنتظم به أمورنا، ونسألك اللهم من خير ما سألك نبيك ومصطفاك سيدنا محمد، ونعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه سيدنا ونبينا محمد، ونسألك اللهم جوار نبيك وحبيبك في الجنة.

اللهم بلغنا رمضان، واجعلنا فيه من الصائمين القائمين الراكعين الساجدين لله رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حديث المنابر

رمضان موسم الطاعات، وإفاضة نعيم الرضوان والنفحات...

■ إعداد الأستاذ: عبد الله الطيبي كدير

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعل من رمضان موسما كريما وقته للصائمين للازدياد من الاقبال عليه بالطاعات، ليفيض عليهم بها نعيم الرضوان والنفحات.. الحمد لله البر الرحمن الرحيم أهل التقوى وأهل المغفرة الذي أنعم علينا وتفضل وتكرم بهذا الشهر المبارك المفضل المعظم، شهر الصيام والقرآن والاحتساب... الحمد لله الذي يوفقنا للفوز بنيل أسباب مغفرته في كل حين، وفي هذا الشهر فوزنا أكثر، الحمد لله الذي يسددنا إلى سبيل مرضاته في كل وقت، وفي هذا الشهر مرضاته عنا أكبر.. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له فضل من الزمان رمضان فكان خير زمان.. وفضل من المكان مكة وطيبة فكانتا خير مكان، وفضل من الإنسان محمدا فكان على الإطلاق خير إنسان.. وفضل من الكتب وحيه الكريم المطهر القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان... وأشهد أن سيدنا وإمامنا وقائدنا ورائدنا وهادينا إلى الحق وخير الأديان، محمدا رسول الله سيد ولد عدنان، عليه نزل القرآن في رمضان بخير الأديان الذي لن يقبل الله من أحد غيره، ولو ارتضى الإنسان غيره بعد بلوغه إياه واستيعابه وفهمه له فهو في دنياه وأخراه في أخسر الخسران... على هذا الرسول العظيم نزل القرآن في رمضان، كتاب كريم في شهر كريم، على رسول الله هذا الإنسان العظيم نزل القرآن العظيم في هذا الشهر العظيم والموسم العظيم فكان رسول الله خير الناس نزل عليه في خير الأوقات خير الكتب... اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الأمي العظيم الكريم وعلى آله وصحبه ومن والاه وعادى من عاداه إنى يوم الدين... فهو الذي عن طريقه في رمضان فرض الله علينا نحن المومنين صيام رمضان، وهو الذي سن لنا قيامه... فياعباد الله، هذا رمضان شهر البركات والخيرات هذا شهر الإفاضات والنفحات.. شهر يقبل الله لنا فيه العثرات ويضاعف لنا الحسنات ويجيب الدعوات.. شهر يعتق فيه رقابنا من الموبقات المرديات.. الحسنة فيه بألف حسنة في سواه من الأوقات.. فهل من عزيمة قوية وإرادة متينة تهزم تسويل النفوس وأمرها بالسوء.. وهل من روح سامية عالية ذات همة ثابتة راسية رسو الجبال تقف في وجه نزغات الشياطين من إنس وجن وماتأمر به من فحشاء وماتعد به من فقر وماتزين من خنا وفجور...

هذا رمضان.. فهل من تائب منيب فيقبل الله توبته ويفرح بإنابته هذا رمضان.. فهل من عامل فيضاعف الله التواب على عمله ممدودتان هذا رمضان.. فياأيها المسيء الذي لم ير منك ربك إلا سوءا أرد من نفسك فيه أنك لازلت تملك ذرة من خير.

هذا رمضان.. فياأيها العاصي إن الله ينظر إليك وينتظرك فعد إليه فيداه جل وعلا ممدوتان إليك لاكتنافك وتظليلك برحمته وعفوه ومغفرته.

هذا رمضان.. فياأيها اليائس من رحمة الله الذي أسرف على نفسه ولا يتوقع إلا أن تنزل عليه بوائق نقمة الله... إفرح واهنأ ولاتقنط من رحمة الله... ولاتيأس من روح الله.. عد إلى الله وارجع فهو رحمن رحيم غفار تواب كريم.. سيكنفك بواسع رحمته وعظيم رحمته من كل نواحيك.. ويفرح لك لأنه يحب التوابين ويحب المتطهرين.

هذا رمضان.. فيه يتغمدنا الله في دنيانا بسابغ رحمته ورضوانه إن نحن كنا له فيه فيكون لنا هو جل وعلا في كل حين وعلى كل حال..

هذا رمضان.. فيه يتولانا الله في أخرانا بفيض منته ورحمته القريبة من المحسنين... فلنحسن اليوم في رمضان في كل لحظة من لحظاته ... سيكون لنا من هذا الاحسان جنة ووقاية في باقي أيام السنة لأننا نكون قد تعودنا الإحسان... وربنا محسن كريم يضاعف الحسنات وبها يمحو السيئات ومن ذاق حلاوة الإحسان استحال عليه أن يستمر في الإساءة... وذلك فضل الله..

أخي المؤمن الصائم القائم، قد بلغك الله تعالى رمضان وأعانك على صيامه، أو رخص لك بعذر أن تفطر.. وكل هذا نعمة كبرى ومنة جلى فهل أنت مقبل على الله فيه؟ هل أنت راجع إلى الله فيه.. أقبل وارجع إلى الله ياأخي الحبيب وادع من تحبه من الناس إلى الاقبال والرجعة إلى الله فيه هو الذي نفس كل حي بيده لن تخسر ولن يخسر.. بلوغ رمضان نعمة لمن بلغه، فقد بلغنا الامام أحمد وغيره من الأئمة رحمهم الله أن ثلاثة من المجاهدين الصحابة الكرام استشهد اثنان منهم في الجهاد، وأما الثالث فقد مات على فراشه بعدهما...فرؤي في المنام سابقا لهما.. فقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم: "ألم يصل بعدهما كذا وكذا صلاة، وأدرك رمضان فصامه، فوالذي نفسي بيده إن ما بينهما لأبعد من بين السماء والأرض... لقد جاهد معهما فاستشهدا وعاش بعدهما تقيا نقيا مجاهدا مصليا صواما قواما وأدرك رمضان فصامه وقامه إيمانا واحتسابا.. فكان في الخير له زيادة عليهما.. جعلها الله لنبيه الصادق المصدوق الذي لاينطق عن الهوى رؤيا حق كأنها أبعد مما بين السماء والأرض...

فيا من أدرك رمضان ماأعظم ربحك إن أحسنت صيامه وقيامه والعمل فيه بما يرضي الله.. وماأعظم خسارتك إن أسأت فيه إلى نفسك بالعمل بما يغضب الله..

إدراك رمضان نعمة لاتعد لها نعمة... وكيف لايكون بلوغ رمضان نعمة ونحن نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه وسلم كان كلما حل رجب الفرد الحرام شهر الله الأصم دعا فقال: "اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان "... فلو لم يكن بلوغ رمضان نعمة لما دعا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم لنفسه ولأمته بطول العمر حتى يبلغوا جميعا رمضان...

وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كان السلف الصالح فقد قال أحدهم وهو المعلى بن الفضل رحمه الله تعالى: "كان السلف الصالح يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم" الله، الله، ياعباد الله... كان المسلمون في عهودهم الزاهرة يجعلون سنتهم كلها رمضان... نصفها دعاء بأن يتقبل الله صيامهم في رمضان.. ونصفها بأن يبلغهم رمضان حتى يصوموه.. فهل نحن عائدون إلى ذلك.. نعم إن الزمان يتبدل والناس تتغير... فلم لا يكون تبدلنا نحو الأصلح وتغيرنا نحو الأصلح؟ إن مقولة "كل يوم ترذلون" مقولة فاسدة مفسدة... فأمة محمد أمة مرحومة خيرة ظاهرة على الحمد حتى تقوم الساعة...

أخي المؤمن الصائم القائم، حدثنا أحد رجال السلف الصالح أن خيار هذه الأمة من سلفها الصالح كانوا يدعون في رمضان وفي غيره من الشهور والأحيان لهذا الدعاء: "اللهم سلمني إلى رمضان، وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلا".. كانوا يطلبون السلامة ليتمتعوا بالدنيا والدنيا نعمة من الله تستحق التمتع بها... ولكن كيف؟ على الأحوال التي ترضي الله وفي طاعة الله... ولهذا كانوا يدعون بالسلامة ليبلغوا رمضان موسم المزيد من الطاعات والفيض من البركات.. وكانوا يدعون بالسلامة لأنفسهم وبأن تسلم لهم عباداتهم حتى يؤدوها تامة غير منقوصة بإقبال وإحسان ورضى ورضوان... ولهذا كانوا يريدون أن يسلم لهم رمضان حتى يصوموه ويقوموه ويصونوه.. ويبقى لهم أمر ثالث يرجون سلامته وهذا الأمر الثالث غيب لايعلمه إلا الله وهو التقبل من الله... ولهذا كانوا يدعون خاشعين ضارعين بأن يتسلمه الله منهم متقبلا..

فاللهم بارك لنا في رمضاننا هذا وبلغنا في سلامة وإسلام وعافية وأمن وأمان وإيمان وإحسان رمضانات أخرى...وسلمنا إليها وسلمها لنا وتسلمها منا أعمالا متقبلة ترضيك عنا وترضينا عنك..وارحمنا وارحم والدينا وارحم أمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وانتقم لها من أعدائها وممن يوالونهم ياذا الجلال والإكرام ياأرحم الراحمين..

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين...

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أتانا برمضان سيد الشهور.. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهديه إلى يوم الدين...

أخي المؤمن ! يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم فيما رواه النسائي والبيهقي رحمهما الله تعالى : "قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم".

أخي المؤمن. كيف لايكون شهرا مباركا تفتح فيه أبواب السماء.. وإذا فتحت أبواب السماء فمعنى ذلك أن تمطر الرحمات على من يستحق رحمة الله... ومعنى ذلك أن تصب لعنة الله على مايستحقها من الفجرة الكفرة الظلمة الفسقة.. وإذا فتحت أبواب السماء فمعنى ذلك أن دعوة كل داع ترتفع إلى الله تعالى بدون حجاب كدعوة المظلوم التي ليس بينها وبين الله حجاب في كل حين... فلنعمل على أن ترتفع أعمالنا إلى الله تعالى في هذا الشهر المبارك من أبواب السماء المفتحة أعمالا صالحة طاهرة مطهرة خالصة مخلصة لله تعالى...

أخي المؤمن، كيف لايكون شهرا مباركا شهر تغلق فيه أبواب الجحيم، فمعنى ذلك أن الله يغلق أبواب الإبلاس عن المجرمين لعلهم يتوبون من قريب، وكيف لايكون شهرا مباركا شهر تغل فيه مردة الشياطين؟ فمعنى ذلك أن من لم يرجع فيه إلى الله فالداء الدوي من نفسه المريضة. وأنه إن لم يبادر بالتوبة حالا فلا أمل له في الرجوع إلى الله .. فليكن من القانطين حينئذ وليأس فهو خاسر الخسران المبين والعياذ بالله... فهو لنفسه حينئذ الشيطان..إذ في رمضان يغل ..أي يصفد ويكتف كل شيطان من مردة الجن.. فهل له من علاج لنفسه الشيطانية هذه؟ نعم هذا العلاج نقتبسه من قولة لسيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، فقد كان كلما أهل هلال رضمان قال: "مرحبا بشهر خير كله، صيام نهاره وقيام ليله، النفقة فيه كالنفقة في سبيل الله"...

فيا من لم يأنس من نفسه تقوى في رمضان.. إن في نفسك مرضا فداوها بصيام نهار رمضان عن الشهوات وكف جوارحك عن كل السوءات والمعاصي... وداوها بالقيام في ليالي رمضان بالصلوات فردا وفي الجماعات في البيت أو في المساجد واحتسب ذلك كله لله خالصا مخلصا لارياء والاسمعة...

آخر العلاج الناجع هو الصدقة والنفقة بإطعام الجوعى وكسوة العراة.. وتفريج كرب المكربين . فكل ذلك في سبيل الله، وذلك دواؤك... وإن لم تفعل فمالك من علاج... والعياذ بالله.

اللهم اجعلنا في هذا الشهر من المجدين المجتهدين، ولاتجعلنا من الغافلين، اللهم جد علينا فيه بجود منك ياذا الجود والإحسان، حتى نتعرض لنفحاته .. اللهم أمنا فيه وفي كل حين حتى نطعم الجائعين، ونواسي المنكوبين أقارب وأجانب.. ونصل رحمنا ونتجنب الشوق والعصيان والبهتان وقول الفحش والزور.. ونكثر الصلاة والتسبيح والذكر وتلاوة القرآن والصلاة على رسول الله والاستغفار وسؤال الجنة والاستعاذة من النار.

أمير المؤمنين محمد السادس اللهم اجعله في عبادك الصالحين العاملين المجتهدين في الصيام والقيام المتهجدين في جنح الظلام الساعين إلى نفع عباد الله وصالحهم في كل حين... وآثر عرشه بولي عهده مولاي الحسن وصنو الرشيد وبسائر أسله وولده وشعبه واجعلهم من حرباته..

اللهم ارحم والدينا...اللهم ربنا اغفرلنا ولجميع المسلمين.. اللهم ربنا هب لنا من لدنك رحمة اللهم صل على سيدنا محمد واله وصحبه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين... آمين.

كتاب تضمن ذكر مايلزم التائب من أعمال وأحوال توجب له الثبات في مقامه للعلامة ابن عباد رحمه الله

الحمد لله وحده

أما بعد فقد وصلتنا كتبكم، وعلمنا مافيها، ولم نر فيها مايقتضي جوابا يكون صوابا إلا ما كان من شأن العبد التواب وسلوكه مسلك من أخلص لله وأناب فقد سرنا ذلك كثيرا واحتسبنا له بذلك من ربنا أجرا كبيرا، وذلكم رحمني الله ربي وربكم فتح إلاهي، ونفح رباني لايقدر قدره إلا من عرفه وهو من نتائجه التعرض المأمور به في الحديث المشهور، والذي عليه المعول من جميع الأمور، لافتقار جميع المقامات الإيمانية إليه ابتداء وانتهاء ودواما وبقاء، فلا غنى للمريد عنه في ترقيه فيها، ولابد منه في تنقله عنها، فلا جرم وجب على العبد مراعات كونه، وبقائه، وزيادته ونمائه، وأعمال جده في حفظ جوهره المصون، وتحصينه بأمنع الحصون، وتوفيه حق نزوله وإلمامه، وبذل الجهد في بره وإكرامه وذلك شكر اللائق بالمقام المنزول به ، والحال الحادث بسببه، وعلم ذلك والعمل به من فروض الأعيان، لكونه من حق الإيمان، وهذا من الواجبات التي تستغرق الأعمار، عند ذوي العقول والأبصار فإذا عرفتم ذلك أنما أشرنا إليه ينقسم إلى جملي وتفصيلي.

أما الجملي فقد اشتمل على بيانه، وإنارة برهانه كتاب ربنا المنزل وأحاديث نبيه المرسل، وأقاويل السلف الصالحين، وما أورده في تأويل ذلك، ومضان أئمة الدين، فعلى مستفيد العلم من ذلك، وسالك تلك المسالك، أن يصغي بسمع قلبه إلى مايرد عليه منها، ويلغي المراء والجدال فيها، ويتلقى بالقبول مايلوى على العقول، حتى تتكشف له حقائقها في ثاني حال ويتضح له إذ ذاك كل اشكال.

وأما الفصلي: وهو أعم علم مقامات الصيد وأحواله في سكونه وانتقاله وخلطته واعتزاله وزمانه ومحاله وغناه وإقلاله، وتفرغه واشتغاله وجميع أفعاله وأقواله، فلا يشتغل العبد بذلك على التوفيق إلا بصحبة صديق صدّيق، قد غاص في تلك البحار، وميز بين الجواهر والأحجار، وأيده مولاه بما به تولاه، فترك له مايهوى، وأقر بالحقيقة وهجر الدعوى، فيعلمه بما يظهر له من خفياته وينبهه على عيوبه وآفاته، وغيره بما يليق به في حالاته، فإن ظفر هذا العبد بهذا الفرد فليشدد عليه يد الظنين وليسلك سبيله المستبين، وإلا فليقدم دليل الاحتياط والحزم ويتحر مذهب أهل التقوى والحزم، فذلك أجدر بنجح المطالب، ونيل المآرب وقد رأينا أن نذكر من حقوق ومقام التوبة مايحسن في هذا الموطن، إذا استيفاء حقوق كل مقام بالذكر والبيان في هذه البراءة لايمكن.

فاعلموا أن مقام التوبة هو أول المقامات وأساسها، وعليه تنبني أنواعها وأجناسها، وهي تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة، فيدخل في هذا عموم حركات الظاهر والباطن في العهود والأقوال والأفعال.

فعلى العبد أولا أن يعقد توبته أداء لحق مولاه، ليرضى عنه ويتولاه، وينيله في جواره مايتمناه، ثم ينظر إلى حركات باطنه فينفي عنها اعتقاد المذاهب الباطلة، والميل إلى زخارف العاجلة، وإلى حركات ظاهره فيسلك بها سنن الاتباع، ويصرفها عن مقتضى العادات والطباع، فيثمر له ذلك أنواع الخيرات، ومحاسن الآداب المرضيات، بين المسارعة إلى البر والتقوى، وإيثار الآخرة على الدنيا، والتأني والتثبت قبل الإقدام، وحسن المراقبة للرقيب العلام، واغتنام الأوقات ومراعات الأنفاس، وزم الجوارح وضبط الحواس، والقيام على النفس في كل همة ردية وتصحيح قصده بقصد النية، وحسن الطوية، والمبادرة إلى رد المظالم والتبعات، وإصلاح ماضيع من الفرائض والواجبات، وترك الأثر والكبر والبعد عن مظان الخطر وخفض الجناح ولين الجانب، وسلامة الصدر من الآفات والمعايب، والموالات والمعادات في الدين، والشفقة والنصيحة لكافة المسلمين، إلى غير ذلك من وظائف الدين وسنن المرسلين، وينقى عنه أضدادها من وجوه الطغيان وكبائر الاثم والعدوان أعاذنا الله من ذلك.

ثم اعلموا أن التائب أبدا في ابتدائه منكمش في حاله ذو لوعة وغصة، قد استوى عليه سكر ما هو فيه، وغلب عليه وارد يستوفيه، لايرى غير حالته الراهنة حالا، ولايقدر لنفسه عنها انتقالا، قد سكنت نفسه، وضعفت دواعيها، وقوي بحالته التي هو فيها، فلا يزال كذلك حتى تجلب عليه خيل البلاء ورجله التي لابد له منها، وتنزل بساحته جنود الخواطر التي كان خليا عنها، فعليه حينئذ الوفاء بعقده، والمحافظة على عهده، فيلازم حاله الأولى، ويشمر عن ساعده في قتال جنود الهوى، وهذا محل تفاوت الناس ومواقف أقدام الأبطال والأكياس، وهو الجهاد الأكبر الذي يهون جهاد الكفار عنده ويستحقر، فإن غلب فاز بملك النفس، والتمتع في رياض الأنس، وإن غُلب سُلب الانس، وحصل على أمره على العكس.

فعليه حينئذ تجديد التعرية مرة أخرى، وطلب الإقالة والرجوع إلى ماهو أولى به وأحرى، وهكذا يفعل مادام في الدنيا، وليجعل عمدته في حركاته الظاهرة والباطنة التبرء من الحول والقوة بالكلية، وأن لايبقي مما يمنع من أن يرقى بيديه سلما إلى مولاه بقية، وذلك هو ملاذ هذا الأمر والعروة الوثقى، فمن تمسك به فقد اعتصم بالمعتصم الأوقى، فعلى هذا المهيع درج السلف الصالحون، في سائر القرون، وبهذا المنزع سوح القاصدون إلى فعل مابه يومرون، وكل ماذكرنا ومالم نذكره من حقوق الإيمان ومزيد الإيقان، كان دأبهم وديدنهم وخلقهم ودينهم، وكان ذلك لهم بمنزلة الغذاء لمزيد البقاء، لامشقة عليهم فيه، ولا التذاذ لهم به ولا مطمع للعدو في صرفهم عنه إلا اعتصامهم به، لأنهم كانوا على بينة من ربهم، ويقين صادق من دينهم.

ثم إنهم متفاوتون فيما أقيموا فيه، ومتمايزون فيما قسم لهم منه، فمنهم من دام على هذا الأسلوب من أعمال الجوارح والقلوب وجعلوه وسيلتهم في اقترابهم من علام الغيوب، مع إحكامهم علم الظاهر، وحصولهم منه على ثلج الخاطر، واقتصروا من ذلك على مايخصهم في أنفسهم وإن استفتاهم أحد أحالوه على غيرهم، ورأوا في ذلك عصمة امرهم.

وقد روي في ذلك عنهم غير شيء، ومنهم من غلب عليه الإشفاق على الخلق لما رأوا البدع قد حدثت فيهم، وحب الدنيا قد ظهر عليهم، فرأوا واجبا التعرض لهم لإنقاذهم من الجهالات التي تعتريهم في دينهم، ومن الظلمات الواقعة بينهم في دنياهم، فمنهم من غلبت عليه المخافة من ابتداع مالم يكن في الزمان الأول ورأوا هذا من البلاء النازل بهم، فسلكوا مسلك الاحتياط، واقتصروا معهم في الدين على ظاهر المنقول، ولم يخوضوا في قضيات العقول، فإن ماروهم أو جادلوهم في ذلك رفضوهم رفضا، و أبغضوهم في الدنيا بغضا، ورأوا في مكالمتهم والأخذ في معاناتهم تضييعا لأوقاتهم ومشغلا بها لايعنيهم.

وأما في الدنيا فاختلفوا، فأكثرهم لم يقدم على ولاية طائعا ولاكارها لغلبة الخوف عليهم وتوقع الخطر فيه، وبعضهم أقدم مطلقا لقوته في الدين وبصره بمصالح المسلمين، لكن الحذر لايفارقه طرفة عين لأن الخلاص في ذلك ليس بهين.

ومنهم من استوعب في ذلك زمانه، واستغرق في ذلك أوقاته وإناءه، وتفننوا في ذلك ماشاءوا من ذلك حين رأوا سيولا قد أقبلت ونيران الباطل قد اشتعلت، فشمروا عن سواعدهم، وانتصبوا وتعبوا في دفع ذلك ونصبوا، ووضعوا للناس القوانين التي عليها يعتمدون، وبينوا لهم طرقات الهدى لعلهم يهتدون، وقعدوا لأعداء دينهم بكل مرصد، وسدوا ثغورهم أوثق سد، ثم اختلفوا في الولايات على نحو ماذكرناه، بيد أنهم وجدوا على ماراموه أعوانا لم يألوهم طاعة وإذعانا، فتم لهم بذلك مرادهم، وانحجبت آراؤهم وقصودهم، غير أنهم أدركتهم بلايا لم يجدوا عنها محيصا، واستقبلتهم فتن ورزايا محصتهم تمحيصاوكل واحد مما ذكرناه في نظره مصيب، وله من حظه من ربه نصيب.

وهذه الطوائف في كل زمان يقل عددهم، ويضعف مردهم حتى أفضت الأمور إلينا، وقد اندرست أعلام الدين وعفت آثاره، وعدم حماسه وأنصاره، ونزق الناس في مجاري الدنيا، وماتت القلوب وذهب الحيا، وانحرفت عقول الخواص عن صوب السداد، وتاه العوام في متاهات الجهل والفساد، وذهب العارفون وعدم الموقنون، وأظلمت الأرض بذهاب أنوارها، وأفول شمسها وأقمارها، وصار الولاة عداة، والعلماء غواتا، والإخوان خونة، والقراء فسقة وظلمة، وخفي الحق عند ظهور الباطل، وادعى بمعرفته وعلمه كل غبي مدح ومفتون جاهل، وذكر أصنافهم يطول، ولاتحتمله أكثر العقول، فاعتبروا ياأولي الأبصار، وانظر هل يستقر لأحد في هذا الوقت قرار، ويعلق قلبه بشيء من الأنوار، أو يصفو مشربه عن شوب الأقدار والأكدار، أم كيف يسع أحد فيه تفرغ إلى ماليس بواجب، وأنى تصح له فيه نية مع شمول هذه فالمتعين على المريد في هذا الزمان الفريد، أن يقطع عمره بالحزن الطويل، والبكاء العويل، ويستنصح كل لبيب عاقل، ويكون له في نفسه شغل شاغل، ويأخذ نفسه بالأشد بالأشد، ويفر من الناس فراره من الأسد، ويدع الرخص والتأويلات، ولايقدم بعقله ولا عمله إلا على الأمور البينات، فإن لازم هذا المحاجة وجاءه الأجل، حظي بالأمان، وفاز بتضعيف الأجر الموعود به العاملون في آخر الزمان، وإن صده اللعين عن هذا الصراط المبين، لم يفلح أينما سلك، ولم يبال الله تعالى به في أي واد من أودية الدنيا هلك، فالواجب على كل مريد ناصح لنفسه، سالم في عقله وحدسه، أن يزن جميع ماذكرناه بميزان الإنصاف وينظر فيه بعقل سليم من الميل والانحراف، فيستعرف به أتم الاعتراف، فيسلك جادة طريقه، ويزيد بتصديقه وتحقيقه بهداية ربه وتوفيقه.

وقد ذكر الشيخ المحقق أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكري العقلي في كتاب الأنوار كلاما قيد فيه على طبقات العباد، وماظهر من الفساد، رأيت أن أحكيه على وجهه ليحصل الناظر فيه على كنهه، فقال: كان أخص الناس بفهم علم الكتاب وشرح معرفة السنة وعمل الرسول عليه السلام أهل القرن الأول لأنهم أفضل الناس عقلا، وأوسعهم علما، ثم جاء القرن الثاني فكانوا أعقل الناس وأعلمهم بعد الصحابة لمعاني آي الكتاب، والعمل بالاقتداء وفهم ماشرحه الصحابة من البيان غير أن الإيثار الذي خص به الصحابة رق في التابعين، وكذلك الزهد في الحلال، وحدث فيهم تأثير أهل البدع يضلون الجهال سرا ويستميلون العوام خفيا، ثم جاء القرن الثالث فذهب أكثر أهل العلم وهم المستمسكون بالتصديق، العاملون بالحدود، لفقد ماعمله الصحابة والتابعون، وقل فيهم الخوف والرجاء، والصبر والشكر، وكثر فيهم الخوض والجدل والخصومة والمراء، وظهر الاختلاف وتاه الدعاة في طرق الضلال، وصارت الحقيقة خصوصا، والجهالة عموما، ثم جاء القرن الرابع فاضطرب الأمر في الحق، واستوحشت طرق الهداية للسالكين بها، واستبدلوا الحق بالباطل، والآخرة بالدنيا وكثر الدهان، وغلب المنكر، وقهر أولياء الله، وعلت أصوات أهل الخبائث، واستخفى المومن، وذهب التواصل وعدمت النصيحة، وقلت الألفة، وفسدت النيات في ذات الله، وتصالحوا على الحقد والفجور وسفك الدماء بغير حق، وذهب الحياء في أخذ الحرام، وصارت الهنية في أهل الفجور، ولم يبق على ظهر الأرض متحقق بالتفريد، ولامتجل بالحقيقة إلا والبلاء يطلبه والفتنة تلحقه، غير أن في الناس بقايا من أهل التصديق بالقدرة متحقق بين الايمان بالقدر.

فإذا حل دخول القرن الخامس اشتد البلاء بأهل الإسلام خاصة فيما بينهم، فكان الكل على الكل في القريب والبعيد والمولي والمولىً عليهم، بعضهم لبعض فتنة، وبعضهم على بعض نقمة ، بفساد دينهم ودنياهم وعيشهم، فلا راحة لمن يفي من أهل الحقيقة غير أنهم يحجبون عن العامة ويسترون عن المدعين، فإذا دخل القرن السادس ذهب أهل التصديق، وبقي الإنكار وسلب الناس عقل البصيرة، وبقي عقل الحجة عليهم، وذهب الإسلام فلم يبق إلا اسمه وذهب العمل بالقرآن فلم يبق إلا رسمه، ثم العجيب العجب أهل القرن السابع وهم أشرار الناس على شكلهم ثاني الأزفة تتبعها الرادفة، انتهى كلامه.

وقد أحسن فيه ماشاء، ولم يأت بمثله أحد من العلماء، وفيما ذكرناه كفاية وغنى، ولنقتصر على هذا القدر من الكلام في هذا المقام، فقد ذهب بنا كل مذهب، وتشعب علينا كل مشعب، والكلام فيه محتمل لأكثر من هذا، إذ مامن فعل إلا وهو مقتصر لأدلة حذفناها، ولاقول إلا وهو محتاج إلى صلة قطعناها طلبا لاختصار وعد ولا عن الإكثار، وإنما فعلناه لكم لكونكم طلبتم في كتابكم منا المبالغة في الموعظة والنصيحة، والتوصية بالوصايا الصحيحة، فرأينا حقوقكم التي لانقدر على توفيتها أن نبلغ في تلكم المطالب إلى غايتها، ونذكرها في معرض الكلام على النازلة الواقعة لنضع فيها البيان مواضعه، ونسوقها سياقة يعترف بصحتها كل لبيب، وتعم فائدتها كل مريد منيب، مع اني معترف بالتقصير في العمل بما وصفته متصف بنقيض مارسمته وشرحته لاأدلي في ذلك بحجة، ولا أسلك إلا على غير محجة، أدل على سبيل الهدى وما اهتدي به الدليل، وأصف الداء لداء أنابه عليل، وحاجتي عند من رآى هذا الكتاب من الأولياء والأحباب، أن يجتهد لي في الدعاء بتيسير التوبة وتكفير الحومة وأن يبلغني من الطاعة أملي، وأن يختم بالخير عملي، فليس ذلك بعزيز ولابعيد على المبدئ المعيد الفعال لما يريد، وليكن هذا آخره والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه المرسل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ح ع: ق209

فصل في بيان حقيقة المصالح والمفاسد

الإمام المحدث سلطان العلماء ابي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام

■ المصالح أربعة أنواع: اللذات وأسبابها ، والأفراح وأسبابها ، والمفاسد أربعة أنواع : الآلام وأسبابها ،، والغموم وأسبابها، وهي منقسمة إلى دنيوية وأخروية، فأما لذات الدنيا وأسبابها وأفراحها وآلامها وأسبابها ، وغمومها وأسبابها فمعلومة بالعادات ، ومن أفضل لذات الدنيا لذات المعارف وبعض الأحوال ، ولذات بعض الأفعال في حق الأنبياء والأبدال، فليس من جعلت قرة عينه في الصلاة كمن جعلت الصلاة شاقة عليه ، وليس من يرتاح إلى إيتاء الزكاة كمن يبذلها وهو كاره لها . وأما لذات الآخرة وأسبابها وأفراحها وأسبابها، والامها وأسبابها وغمومها وأسبابها فقد دل عليه الوعد والوعيد ، والزجر والتهديد، وأما اللذات فمثل قوله « وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين » سورة الزخرف / الآية 71، وقوله: يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين » سورة الصافات الآية: 46.45. وأما الأفراح ففي مثل قوله تعالى: « ولقاهم نضرة وسرورا » سورة الإنسان / الآية: 11 . وقوله فرحين بما آتاهم الله من فضله » سورة آل عمران الآية 170، وفي مثل قوله « يستبشرون بنعمة من الله وفضل » سورة آل عمران » / الآية 171وأما الآلام ففي مثل قوله« ولهم عذاب أليم » سورة البقرة/ الآية: 10، وقوله » ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت ومن ورائه عذاب غليظ» سورة إبراهيم / الآية: 17. وأما الغموم ففي مثل قوله » كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها » سورة الحج / الآية 22.

فائدة :

سعي الناس كلهم في جلب الأفراح واللذات وفي درء الغموم المؤلمات فمنهم من يطلب الأعلى من ذلك فالأعلى وقليل ما هم ، ومنهم من يقتصر على طلب الأدنى ، ومنهم الساعون في المتوسطات والقدر من وراء سعي السعادة وكل متسبب في مطلوبه : فمن بين ظافر وخائب، ومغلوب وغالب ورابح وخاسر ومتمكن وحاسر كلهم يتقلبون وإلى القضاء ينقلبون ،. فمن طلب لذات المعارف والأحوال في الدنيا ولذة النظر والقرب في الآخرة فهو أفضل الطالبين ، لأن مطلوبه أفضل من كل مطلوب ، ومن طلب نعيم الجنان وأفراحها ولذاتها فهو في الدرجة الثانية ، ومن طلب هذه الدار ولذاتها فهو في الدرجة الثالثة، ثم يتفاوت هؤلاء الطلاب في رتب مطلوباتهم: فمنهم الأعلون والأدنون والمتوسطون ، فأما طلاب الآخرة فاقتصروا من طلب لذات الدنيا وأفراحها على ما يدفع الحاجة أو الضرورة واشتغلوا بمطالب الآخرة ولن يصل أحد منهم إلا إلى ما قدر له، وقد غر بعضهم أنهم أدركوا بعض ما طلبوا فظنوا أنهم نالوا ذلك بحزمهم وقواهم فخابوا ونكصوا ووكلوا إلى أنفسهم فهلكوا ، ومنهم من واظب أنه لا ينال خيرا إلا بتوفيق الله ولا ينال ضيرا إلا بمعصية الله فهؤلاء لا يزالون في زيادة، لأن الطاعات والمعارف والأحوال إذا دامت أدت إلى أمثالها وإلى افضل منها ، وعلى الجملة فمن أقبل على الله عليه، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه، ومن تقرب إلى الله شبرا تقرب منه ذراعا ، ومن تقرب منه ذراعا تقرب منه باعا، ومن مشى إليه هرول إليه، ومن نسب شيئا إلى نفسه فقد زل وضل ، ومن نسب الأشياء إلى خالقها المنعم بها كان في الزيادة ، لأن الله تعالى قال » لئن شكرتم لأزيدنكم » إبراهيم : سورة الآية: 7،، وسنجزي الشاكرين » سورة آل عمران / الآية 145، وافضل ما تقرب به التذلل لعزة الله والتخضع لعظمته والإيحاش لهيبته والتبري من الحول والقوة إلا به، وهذا شأن العارفين ، وما خرج عنه فهو طريق الجاهلين أو الغافلين ، وقد تمت الحكمة وفرغ من القسمة ، وسينزل كل أحد في دار قراره حكما وعدلا وحقا وقسطا مفضيلا، وما ثبت في القدم لا يخلفه العدم ولا تغيره الهمم بعد أن جرى القلم وقضاء العدل والحكم، فأين المهرب وإلى أين المذهب وقد عز المطلب ووقع ما يذهب؟ فيا خيبة من طلب ما لم تجريه الأقدار ولم تكتبه الأقلام ، يا لها من مصيبة ما أعظمها وخيبة ما افحمها ، أين المهرب من الله وأين الذهاب عن الله وأين الفرار من قدرة الله؟ بينا يرى أحدهم قريبا دانيا إذ أصبح بعيدا نائيا لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا حفظا ولا رفعا:

بأي نواحي الأرض نرجو وصالكم
وانتم ملوك ما لمقصدكم نحو
والله لن تصل إلى شيء إلا بالله فكيف توصل بغيره؟

المصالح ضربان:

أحدهما : حقيقي وهو الأفراح واللذات ،، والثاني : مجازي وهو أسبابها ، وربما كانت أسباب المصالح مفاسد فيؤمر بها أو تباح لا لكونها مفاسد بل لكونها مؤدية إلى المصالح ، وذلك كقطع الأيدي المتأكدة حفظا للأرواح كالمخاطرة بالأرواح في الجهاد ، وكذلك العقوبات الشرعية كلها ليس مطلوبة لكونها مفاسد بل لكونها المقصودة من شرعها كقطع السارق وقطع الطريق وقتل الجناة ورجم الزناة وجلدهم وتغريبهم ، وكذلك التعزيرات كل هذه مفاسد أوجبها الشرع لتحصيل ما رتب عليها من المصالح الحقيقة، وتسميتها بالمصالح من مجاز وتسمية السبب باسم المسبب وكذلك المفاسد ضربان: أحدهما : حقيقي وهو الغموم والآلام ، والثاني: مجازي وهو أسبابها، وربما كانت أسباب المفاسد مصالح، فنهي الشرع عنها لا لكونها مصالح بل لأدائها إلى المفاسد، وذلك كالسعي في تحصيل اللذات المحرمات والشبهات المكروهات والترفهات بترك مشاق الواجبات والمندوبات فإنها مصالح نهي عنها لا لكونها مصالح بل لأدائها إلى المفاسد الحقيقية وتسميتها مفاسد من مجاز تسمية السبب باسم المسبب.

فائدة :

المصالح المحضة قليلة وكذلك المفاسد المحضة ، والأكثر منها اشتمل على المصالح والمفاسد ويدل عليه قوله عليه السلام » حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» والمكاره مفاسد من جهة كونها مكروهات مؤلمات، والشهوات مصالح من جهة كونها شهوات ملذات مشتهيات ، والانسان بطبعه يؤثر ما رجحت مصلحته على مفسدته وينفر مما رجحت مفسدته على مصلحته ، ولذلك شرعت الحدود ووقع التهديد والزجر، والوعيد ، فإن الإنسان إذا نظر إلى اللذات وإلى ما يترتب عليها من الحدود والعقوبات العاجلة نفر منها بطبعه لرجحان مفاسدها ، لكن الأشقياء لا يستحضرون ذكر مفاسدها إذا قصدوها، ولذلك يقدمون عليها، فإن العاقل إذا ذكر ما في قبلة محرمة من التعزير والذم العاجلين والعقاب الآجل زجره ذلك، والبلاء كله في الغفلة عن ذلك ، وكذلك إذا ذكر اطلاع الرب سبحانه عليه حمله ألم الاستحياء والخجل على ترك المعصية واجتناب لذاتها ، وكذلك إذ فكر في المصالح الشاقة من الغموم والآلام دعاه ذلك إلى تركها، فإذا ذكر ما يترتب عليها من مصالح الدنيا والآخرة حمله ذلك على الصبر على مكارهها ومشاقها . ألا ترى أن المريض يصبر على ألم مرارة الدواء وألم قلع الأضراس المتوجعة وألم قطع الأعضاء المتآكلة لما يتوقع من لذات العافية وفرحاتها ، وكذلك إذا ذكر اطلاع الرب عليه ونظره إليه حمله ذلك على الطاعة وتحمل مكارهها ومشاقها ، وكذلك تلك الطعام الشهي والشراب الهني لما يتوقع من سوء عاقبة أكله وشربه؟ ولو شاء الله جعل في الطاعات شيئا من المكاره والمشقات كما فعل بالملائكة ، ولما جعل في المعاصي شيئا من اللذات والراحات ، ولو فعل ذلك لما قعد أحد عن طاعة ولا أقدم على معصية ولكن سبق القضاء بشدة الابتلاء . وليس الملائكة كذلك فإنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، إذ لا مشقة عليهم في ذلك ولا ألم ، وكذلك أهل الجنة يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس، وكذلك لوشاء الله لم يخلق الأوهام ولا الشكوك ولا التخيلات، ولا الظنون في العقائد ولا في غيرها بل خلق العلم بالأشياء من غير توهم مضلل ولا شك متعب ولا تخيل مجهل ولا ظن موهم . وليت شعري هل تزول هذه الأشياء في الجنة لا يبقى لأهلها إلا محض العلوم التي بها يتم نعيمهم وسرورهم وفرحهم وحبورهم أم يبقى ذلك كما في الدنيا؟ ولقد أعد الله لهم في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ولعل هذا يكون جملة ما أعد الله لهم ، فسبحان من لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين، وإنما نفع الطاعات لأربابها وسوء المخالفات لأصحابها، والقلوب معادن الخواطر والكفر والإيمان والعزوم والإرادات والبغض والحب والطواعية والإباء والمعارف والأقوال، وكذلك استحسان الحسن واستقباح القبيح ، وكذلك الظنون الصادقة والكاذبة وقد قسم لكل قلب من ذلك ما سبقت به الأقدار وجرت به الأقلام والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، أسعد من أسعد بغير علة، وأشقى من أشقى بغير سبب ، وكيف الخلاص مما حق وكتب ، وأين المهرب مما حتم ووجب؟ فمثل القلب كمثل نهر تجري فيه المياه على الدوام ، فكذلك الخواطر في ورودها على قلوب الأنام لا يذهب خاطر نابه ولا ما ابتنى عليه من العزوم والأحوال والكفر والإيمان والطاعة والعصيان إلا رده خاطر إما من نوعه أو من غير نوعه ، ثم المياه الجارية منها ما ينفع ومنها ما يضر ومنها ما لا يضر ولا ينفع فكذلك الخواطر الجارية في القلوب والواردة عليها منها ما ينفع ومنها ما يضر ومنها ما لا ينفع ولا يضر والإنسان بعد ذلك مكلف باجتناب العزوم على المفاسد ووسائلها ، والمقصود إلى المصالح وأسبابها، ولا تكليف قبل ورود الخواطر ولا بورود الخواطر. ولا بميل الطبع إلى ما وردت به الخواطر ولا بنفوره عما أتيت به الخواطر. والخواطر ضربان : أحدهما ما يرد على القلوب من غير اكتساب كورود المياه على الأنهار . الضرب الثاني : ما يرد على القلوب من الخواطر بالاكتساب ، وعلى الاكتساب يترتب بالمدح والذم والثواب والعقاب.

فصل في الحث على جلب المصالح وذرء المفاسد

لما علم الرب سبحانه أنه قد جبل عباده على الميل إلى الأفراح واللذات والنفور من الغموم والمؤلمات ، وأنه قد حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات ، وعد من عصى هواه وأطاع مولاه بما أعده في الجنان من المثوبة والرضوان، ترغيبا في الطاعات ليتحملوا مكارهها ومشاقها ، وبتوعد من عصى مولاه واطاع هواه بما أعده في النيران من العقوبة والهوان زجرا عن المخالفات ليتجنبوا ملاذها ورفاهيتها، ومدح الطائعين ترغيبا في الدخول في حمده ومدحته، وذم العاصين تنفيرا من الدخول في لومه ومذمته ، وكذلك وضع الحدود والعقوبات العاجلة زجرا عن السيئات . فالواجب على العباد اتباع أسباب الرشاد وتنكب أسباب الفساد ، وقضاء الله وقدره من وراء ذلك، فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ، ولا خروج لعبد عما حكم له أو عليه من سعادة أو شقاوة.

انظر: قواعد الاحكام... ج1 ص12

العمل في غسل يوم الجمعة

الشيخ سيدي محمد التهامي كنون

■ قال ابن عرفة الغسل لصلاة الجمعة مطلوب وصفته وماؤه كالجنابة والمعروف أنه سنة لمن يأتيها ولو كان ممن لا تلزمه كالعبد والمشهور شرط وصله برواحها والفصل اليسير عفو ولا يجزئ قبل الفجر خلافا للأوزاعي ولا بعد الفجر أي إثره خلافا لابن وهب قال أبو عمر: ولا أعلم أحدا أوجب غسل الجمعة فرضا إلا أهل الظاهر هـ .

غسل الجمعة في رواية كما يغتسل من الجنابة وظاهره أي التشبيه للكيفية لا للحكم وهو قول الأكثر فكأنما قرب بدنة أي تصدق بها متقربا إلى الله تعالى وهي البعير ذكرا كان أو أنثى فالتاء فيها كالبقرة للوحدة كبشا أقرن وصفه به لأنه أكمل وأحسن صورة ولأن قرنه ينتفع به دجاجة مثلث الدال وقيل بالفتح من الحيوان وبالكسر من الناس حضرت الملائكة هو غير الحفظة وظيفتهم كتابة حاضري الجمعة الذكر أي الخطبة زاد في رواية ثم إذا استمع وأنصت غفر له ما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام ثم لا يخفى أن هذا الحديث فيه الغسل فلا يحصل الثواب الخاص إلا لفاعله وإلا حصل له ثواب التهجير دون ما فيه من بدنة الخ... وعلى ما في هذا الحديث من التقييد بالغسل تحمل بقية الروايات من ترتب الفضل على السبق من غير تقييد بالغسل ومذهب مالك رحمه الله أن المراد بالساعات المذكورة أجزاء أول الساعة السابعة من النهار وهي أول الزوال وهو الذي للخمي وابن بشير والمازري واختاره ابن العربي وصححه ابن عرفة وابن عمر وعليه الأبي وابن المواق... أو اجزاء الساعة السادسة وهي التي يعقبها الزوال وهو الذي للباجي وابن عبد البر وأبي الحسن العبدي وشهره الرجراجي وقال التتائي إنه الصحيح والخطابي: انه الأصح ولم يحك ابن رشد وغيره لأن التفاوت في الحديث كثير فلا يناسب أن يكون مرتبا على التفاوت الذي في أول السابعة لأنه تفاوت يسير لمجيئ الإمام إثر الزوال وذهب الشافعي وابن حبيب إلى أن المراد بها ساعات النهار من أوله فاستحبوا الرواح إليها من طلوع الشمس قال ابن عبد البر: وقول مالك هو الذي تشهد له الأحاديث الصحيحة مع ما صحبه من عمل أهل المدينة فإن مالكا كان مجالسا لهم ومشاهدا لوقت خروجهم إلى الجمعة فلو كانوا يخرجون إليها مع طلوع الشمس ما أنكره مع حرصه على اتباعهم هـ. أي لأنه كرهه خوفا على فاعله من الرياء.

فائدتان

الأولى : روي الطبراني وغيره عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: إن الغسل يوم الجمعة ليسل الخطايا من أصول الشعر استلالا، وروى أبو ليث السمرقندي بسنده عن أوس بن أوس مرفوعا: من غسل واغتسل وبكر وابتكر يعني يوم الجمعة ودنا فأنصت ولم يلغ كان له من الأجر بكل خطوة كأجر سنة صيامها وقيامها ، قال محمد بن الفضيل: سألت يزيد بن هرون عن قوله غسل واغتسل قال غسل مواضع الوضوء واغتسل يعني جسده وسألته عن بكر وابتكر قال: بكر على غسله وابتكر إلى الجمعة.

الثانية: روى البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة مرفوعا أيعجز أحدكم أن يجامع أهله في كل يوم جمعة فإن له أجرين اثنين أجر غسله وأجر غسل امرأته هـ ، عن سعيد بن أبي سعيد اسمه كيسان المقبري بضم الموحدة وفتحها كان مجاورا للمقبرة فنسب إليها المدني التابعي المتفق على توثيقه روى له الجميع وتوفي سنة ثلاث وعشرين ومائة. واجب أي وجوب السنن على رأي الجمهور، وقيل مستحب، وقال اللخمي: يجب على من له رائحة كريهة يذهبها الغسل ويستحب لغيره هـ . وليس للجمعة سنة إلا الغسل قال ابن عمر: ثلاث سنن قل العمل بها: غسل الجمعة ووضوء الجنب للنوم، وفعل العقيقة هـ. دخل رجل هو عثمان رضي الله عنه الوضوء بالنصب أي أتتوضأ الوضوء مقتصرا عليه وبالرفع مبتدأ حذف خبره أي تقتصرعليه عن صفوان بن سليم بضم السين المدني الزهري مولاهم تابعي ثقة مفتي عابد توفي سنة اثنين وثلاثين ومائة عن اثنين وسبعين سنة، إذا جاء أحكم في رواية إذا أراد أحدكم أن يأتي الجمعة الخ ... معجلا أي ذاهبا لها قبل الزوال ولو بكثير أو مؤخرا أي ذاهبا في الوقت المطلوب.

• انظر أقرب المسالك إلى موطأ مالك

الأذان

القول فيما جاء في المؤذن
يا طالبا إذا أذنت فاحسن

إذا بدأت الله فاقطع الألف
ولا تصله فيكون ذكر ضعيف

كذاك قطع همزة من أكبر
إبدالها واو قبيح منكر.

والباء ليس فيها إلا القصر
ومدها عند الجميع كفر

كذاك الاستفهام في التشهدين
كفر صراح يا أخي دون مين

والنون في أن لا إله تدغم
وامدد على اللام بصوت يفهم

وانصب محمدا وارفع رسولا
كذاك كل عارف يقول

والشد في حي وتفخيم الصلاة
وامدد على اللام على للاسكان بعده

وفي الفلاح مثل هذا تفعل
في مده يا طالبا لا تغفل

واترك سبيل الواو في الأذان
إلا بذكر النوم يا إنسان

ومما قاله بعضهم في الفاتحة

بفاتحة الكتاب تنال سرا
وعزا شامخا طول الليالي

وودا في قلوب الناس يبقى
وعطم مهابة وصلاح حال

فرتب درسها في كل ليل
على ظهر من الأصوات خال

ومبلغ ذلك الترتيب منها
إلى ألف على وجه الكمال

تنل ما شئت من دنياك سهلا
ويرخص عند ذلك كل غالي

حروف النور للتأليف منها
إلى ما شئت من داعي الوصال

كذا باقي الحروف فمظلمات
تؤثر في القطيعة والوبال

لتفعل ما شرحت هُديت رُشدا
لتبقى في النعيم بلا زوال

ج:166

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

تأملات وخواطر

كلمة وفاء

■ تأملاتي هذه المرة خصصتها لرحيل أخ عزيز عضو في رابطة علماء المغرب الدكتور عبد السلام السليماني ربطتني به صداقة وأخوة امتدت لعشر سنوات تميزت بالوفاء الصادق والمحبة الخالصة، وبالمناسبة ، وفي اليوم الثالث من وفاته ألقيت كلمة في حقه وبين أهله وأبنائه أرجو أن تكون تعبيرا عن وفائي له ولأسرته العزيزة قلت فيها:

وهكذا الدنيا نعيش فيها ، ثم نغادرها بعد حياة قصيرة وبآجال، ولكل أجل كتاب . وكلنا إلى نفس المصير .

لقد طوى الموت حبيبا عزيزا ، وفارقنا كأنه لم يكن حاضرا بين إخوانه العلماء معتكفا ومخلصا وساهرا على تحرير ما يرد على مجلة "الإحياء" من مقالات وأبحاث كان يكتبها العلماء الباحثون، كنت لا أراه في مكتبه بمقر الرابطة إلا منحن على قراءة بحث أو كتابة مقال قبل أن يأذن بنشره ويرسله إلى المطبعة.

كان يعرف القيمة العلمية التي تمثلها مجلة "الإحياء" منذ صدور العدد الأول منها وتتابع صدورها المنتظم إلى أن سقط مريضا وهو في أوج عطائه العلمي، وحتى في حالة مرضه كانت "الإحياء" جديرة باهتمامه وتضحيته وصوب عينيه دائما كان أحيانا يتلقى بحثا لنشره في المجلة فلا يمل من قراءته وتصحيحه ، ويقضي في ذلك الساعات الطوال وعند ما يرسل مواد المجلة للطبع كان يتابع إدارة المطبعة بالاتصال التلفوني فيسأل عن العامل المطبعي المكلف بالمجلة ليتأكد من عناوين الأبحاث وأرقام الصفحات.

لقد كان رحمة الله عليه دمثالأخلاق متواضعا متصفا بنزاهة العلماء ناليا عن الكبر والتعالي عن الناس ، هذه الصفات النبيلة هي نفسها التي ميزته وهو الأستاذ الجامعي مع طلبته ، فلقد عاملهم كأبنائه، بادلهم الحب والإخلاص، ووافر العطاء لهم في المواد الجامعية التي كان يلقنها لهم بسعة صدر ووفاء، عاملا على إسداء النصح لهم وإرشادهم ، حريصا على تفوقهم ونجاحهم .

عزيزي وأخي الدكتور عبد السلام السليماني لقد خطفك القدر من بين أهلك وأحبابك ، وأصدقائك ، وسكتت ضربات قلبك الذي كان يخفق بالمحبة والإخلاص ، وقال الأطباء : إنها النهاية ، ثم أعلنوا نقلك إلى غرفة الإنعاش، وتفاءلنا بعد أن همست بكلمات أدخلت الأمل إلى نفوسنا، لكن الأجل لم يرحم ، وانتقلت الروح إلى بارئها في غفلة عن أصدقائك وأعزائك.

إن سنوات طويلة جمعتني بك في مقر الرابطة وبينما عشت يا أخي مع "الإحياء"، عشت مع ميثاق الرابطة وكلانا مصبه واحد وهدفه نبيل.

لقد أديت رسالتك العلمية على أحسن ما يرام ، وأذكر بالمناسبة رحلة جمعتني ضمن نخبة من أساتذة الجامعة المغربية إلى مدينة الرياض لقد سررت وسعدت ونحن نتجول بين مكتباتها بطلبة الجامعة السعودية يمسكون بمجلة "الإحياء" يطالعونها ويستفيدون من موادها وأبحاثها وكما قال لي محافظ المكتبة الزاخرة: إن الطلبة لا تفارقهم مجلة "الإحياء" ، فمنها يكرعون العلم والمعرفة الصحيحة.

أخي العزيز الدكتور عبد السلام :

فمنذ أيام ليست بعيدة كان لي معك اتصال بالهاتف وكعادتي استفسرك عن صحتك وعلتك ، قلت لي : لا تتأخر عن زيارتي ووعدتك ، لكن عندما اتفقت مع رفيق لي في الرابطة يعرف عنوانك مضبوطا في حي الرياض الذي لم تتحدد بعد معالم شوارعه وأزقته لتحديد موعد الزيارة جاءني الخبر الأليم: لقد نقلوك إلى المصحة....

صعقني الخبر كما صعق له كل العلماء والأصدقاء وأعضاء الرابطة، فعزاء لنا جميعا، وعزاء لأسرتك وأهلك، وعزاء لأحبائك وأصدقائك، وعزاء لأعضاء رابطة علماء المغرب وإنا لله وإنا إليه راجعون.